ملخص كلمة

المطرانِ مُنيب يونان(*)

أصحابَ النِّيافةِ والسِّيادةِ.. ملخص كلمة المطرانِ مُنيب يونان

أصحابَ السَّماحةِ والفضيلةِ..

أيها الحفلُ الكريمُ..

باديءَ ذي بَدءٍ، أودُّ باسمي وباسم الاتِّحاد اللُّوثريِّ العالميِّ- أن نشكُرَ الأزهرَ على مواقِفه المُشرِّفةِ محليًّا وعالَميًّا تجاهَ القضايا العادلةِ، ونشكُرُكم لأنَّكم أخذتُم مَوضوعَ «الحُرِّيةِ والمواطَنةِ» مَوضوعًا رئيسيًّا لهذا المؤتمَرِ الدَّوليِّ المُهِمِّ؛ ولا شكَّ أنَّ الكثيرَ من شُعوبِ المَشرقِ العربيِّ ورعاياه يتوقونَ إلى سماعِ كلمةٍ سَواءٍ من رجالِ الدِّينِ المسيحيِّ والإسلاميِّ عن هذا المَوضوعِ الذي تطرحونَه. كما أنَّني بهذا الصَّدَدِ أشكُرُ الإمامَ الأكبرَ فضيلةَ الشَّيخِ أحمدَ الطَّيِّب على مواقِفه المُشرِّفةِ، وعلى المؤتَمرِ الدَّوليِّ الذي عُقِد عامَ ٢٠١٤م حيثُ شكَّلت توصيَاتُه نِبراسًا، مُتحدِّيةً التَّطرُّفَ الدِّينيَّ والإرهابَ، ومُعلِنةً مَوقفًا صريحًا من دورِ العربِ المسيحيِّينَ في العالَمِ العربيِّ والإسلاميِّ.

وأحمِلُ إلَيكمُ اليَومَ تحيَّاتِ القُدسِ -تحيَّاتِ القيامةِ والأقصى- والتي تَطلُبُ مِنكم الصَّلاةَ من أجلِ أن تكونَ قُدسَ السَّلامِ، ومَوطِنَ العدالةِ، ومدينةَ المُصالَحةِ.

وعندما يُوضَعُ في هذا الوقتِ العالَمُ الإسلاميُّ مَوضِعَ تساؤلٍ ومُساءَلةٍ- يتناسى العالَمُ أنَّ ثمَّةَ مُبادَراتٍ مُختلِفةً تطوَّرت من قلبِ الوطنِ العربيِّ تُعزِّزُ معنى العَيشِ

المُشترَكِ، وتشرَحُ الإسلامَ كما نحنُ نعرِفُه وعشنا معَه ألفًا وأربعَ مِئةِ عامٍ كعربٍ مسيحيِّينَ.

وأوَدُّ في هذا الـمَقامِ أن أذكُرَ بعضًا مِنها على سبيلِ الـمِثالِ -لا الحصرِ-:

لقد أطلق صاحِبُ الجلالةِ المَلِكُ عبدُ اللهِ الثَّاني ابنُ الحُسَينِ «رِسالةَ عمَّانَ» لتَشرحَ أنَّ الإسلامَ هو دينُ سلامٍ وحُرِّيةٍ، دينُ قبولِ الآخَرِ، ودينٌ يعلِّمُ أن «لا إكراه في الدين» ، ودينٌ لا يجنَحُ للحربِ بل للسِّلمِ، وقد تبعَ ذلك أيضًا وثيقةُ «كلمة سواء» حيثُ وقَّع عليها مِئةٌ وثمانيةٌ وثلاثونَ عالِـمًا إسلاميًّا من جميعِ مذاهبِ الإسلامِ الذين أجمعوا أنَّ جوهرَ الدِّينِ القَويمِ هو مَحبَّةُ اللهِ تعالى ومحبةُ القريبِ، وقد تعدَّت هذه الوثيقةُ أصحابَ الدِّياناتِ السَّماويةِ مُعلِنةً أن لا مَحبَّةَ للهِ دون محبَّةِ القريبِ.

وبما أنَّني أَقُومُ على خِدمَةِ اللَّجنةِ الملكيَّةِ الهاشِميَّةِ لمنحِ الجَوائزِ لأُسبوعِ الوِئامِ العالَميِّ- ذَهِلتُ في العامِ المُنصرِمِ حينما تقدَّمت اثنتانِ وثمانونَ مؤسَّسةً من جميعِ أنحاءِ العالَمِ تعملُ بجِديَّةٍ للوِئامِ بينَ المسيحيِّينَ والمُسلِمينَ والأديانِ الأُخرى... وإن دلَّ ذلك على شيءٍ فإنَّما يدُلُّ على أنَّه ثمَّةَ خيرٌ في العَلاقاتِ الدِّينيةِ، وأنَّه على الرَّغمِ من مُحاوَلةِ التَّطرُفِ الإقصائيِّ التَّكفيريِّ اختطافَ الدِّينِ وتحويلَه إلى أيديولوجيَّةٍ جامدةٍ؛ فإنَّ أصحابَ دينِ الوِئامِ والسَّلامِ هُم أكثرُ مِنهم، ولن يسمحوا لأيِّ تطرُّفٍ إقصائيٍّ -مهما كان دينُه أو جِنسُه- أن ينتزِعَ فتيلةَ حُبِّ اللهِ وحُبِّ القريبِ.

وأذكُرُ أيضًا وثيقةَ مَرَّاكُش لعام ٢٠١٦م حيثُ دَعَت -وبكلِّ وُضوحٍ- إلى المواطَنةِ المُتكافئةِ.

أيها الحفلُ الكريمُ

نواجِهُ اليَومَ -وبصراحةٍ- توجُّهاتٍ خطيرةً عجيبةً في العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ، ويُروِّجُ بعضُهم الهُويَّةَ الدِّينيةَ على حسابِ المواطَنةِ.. وكأنَّ الهُويَّةَ الدِّينيةَ هي فقطُ التي تربِطُهم بأرضِ الآباءِ والأجدادِ، ونلاحِظُ اليومَ زِيادةً في الخِطابِ الدِّينيِّ الذي يُروِّجُ هُويَّةً مذهبيَّةً دينيَّةً مُطلَقةً، ويُقسِّمُ المُجتمَعاتِ إلى سُنِّيٍّ وشيعيٍّ، إلى مسيحيٍّ ومُسلمٍ، إلى أرثوذكسيٍّ وكاثوليكيٍّ ولُوثَريٍّ، إلى كُرديٍّ وعَلويٍّ... وغيرها من هذه التسميات.

إنَّ تقسيمَ مُجتمَعِنا العربيِّ إلى هذه الهُويَّاتِ الدِّينيةِ المذهبيَّةِ هو خطرٌ سافرٌ على الهُويَّةِ الوطنيَّةِ العربيَّةِ وعلى الإنسانيةِ بشكلٍ عامٍّ، وهو انحدارٌ فكريٌّ، وتحريفٌ لِما نؤمِنُ بأنَّ الدِّينَ للهِ والوطنَ للجميعِ.

ونسمعُ اليوم أصواتًا عادت تتكلَّمُ عن أقليَّاتٍ دينيةٍ في العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ، وإذا قصدوا أن العربَ المسيحيِّين هم أقليَّةٌ، فإنني -نيابةً عن جميع العربِ المسيحيِّين- أقولُ: نحنُ لا نقبلُ أن نكونَ أقليَّةً في وطنٍ عشنا على تُرابِه وترعرعَنا عليه وبنَيناه مُدَّةَ ألفَي عامٍ، نحنُ لا نقبلُ أن نكونَ أقليَّةً حتَّى إذا كنا قِلَّةً في العَددِ؛ لأنَّه لا يوجَدُ لدَينا عُقدَةُ الأقليَّةِ، فكيف أُدعَى «أقليَّةً دينيَّةً» وكأنَّ مواطَنتي الدِّينيةَ مشكوكٌ فيها بفعلِ إيماني وديني؟!

وثمَّةَ مَن عادَ يتكلَّمُ من جديدٍ عن أهلِ الذِّمةِ، ولكنَّني -كعربيٍّ مسيحيٍّ- أعتبرُ نفسي جُزءًا أصيلًا من النَّسيجِ العربيِّ؛ فهَمُّ الوطنِ العربيِّ هو هَمِّي، ونِضالُ الأُمَّةِ العربيَّةِ من أجلِ قضايا العربِ العادلةِ هو نِضالي، وتحدِّي التَّطرُّفِ التَّكفيريِّ هو تحدٍّ للمسيحيِّين أيضًا، ونجاحُ الحُلمِ العربيِّ هو نجاحٌ لي؛ فمَن يهوى ترويجَ الهُويَّةِ الدِّينيةِ والمذهبيَّةِ بشكلٍ مُطلَقٍ، فكأنَّه يُروِّجُ أنَّ دينًا هو أسمى من دينٍ آخَرَ عِندَما يتعلَّقُ الأمرُ بالمواطَنةِ، أو أنَّ مذهبًا أفضلُ من مذهبٍ آخَرَ في الانتماءِ الوطنيِّ.

لذا فإنِّي -كمسيحيٍّ وكمطرانٍ عربيٍّ- أقولُ: حان الوقتُ أن نُعزِّزَ من جديدٍ معنى المواطَنةِ المُتكافئةِ -بحُقوقٍ مُتساويةٍ، وواجباتٍ مُتساويةٍ- الحاضِنةِ للتَّنوُّعِ، وهذا أساسٌ رئيسٌ في معنى المواطَنةِ.

وللمواطَنةِ -كما أراها- ركنانِ أساسيانِ:

الرُّكنُ الأوَّلُ: المُشارَكةُ:

هذه المُشارَكةُ هي الجسدُ الحيُّ للعَلاقةِ بينَ المواطنِ والوطنِ من خِلالِ مُساهَمةِ المواطنِ في بناءِ مُجتمَعِه وانتمائِه لوطنِه؛ والمواطَنةُ تعني -هُنا- مُمارَسةً وانتماءً.

ونحن -العربَ المسيحيِّينَ- ننتمي إلى وطننا العربيِّ، ونُخلِصُ ونفي للدَّولةِ التي نعيشُ فيها، ونُساهِمُ مُنذُ الحُكمِ الإسلاميِّ -وحتى يَومِنا هذا- في بناءِ مجتمعِنا العربيِّ، وفي تطويرِه من خلالِ مؤسَّساتِنا التَّربويَّةِ والمُجتمَعيَّةِ والكنَسيَّةِ والصَّحيَّةِ والثَّقافيَّةِ والعِلميَّةِ، ونقومُ -من مُنطَلَقِ محبَّةِ اللهِ والقريبِ، ومن مُنطَلَقِ الإخلاصِ لوطنِنا- بتعليمِ المواطنِ، وتثقيفِه، وتنشِئتِه في مفهومِ الاعتدالِ.

وفي مُعظَمِ الأحيانِ لا نحصُلُ على أيَّةِ مُوازَنةٍ من الدَّولةِ، بل نقومُ من مُوازَنةِ الكنيسةِ ببناءِ الإنسانِ، ونغرِسُ حُبَّ الوطنِ فيه، ونعلِّمُه أهمِّيَةَ الانتماءِ والمواطَنةِ المتكافئةِ.

الرُّكنُ الثَّاني: المُساواةُ الحاضِنةُ للتَّنوُّعِ:

على الوطنِ أن يُعامِلَ أبناءَه وبناتِه دون تفرِقةٍ أو تمييزٍ -سواءٌ بسببِ الدِّينِ، أو العِرقِ، أو الجِنسِ، أو الانتماءِ (السِّياسيِّ، أو الحِزبيِّ، أو المذهبيِّ، أو الدِّينيِّ... إلخ)- فالمُساواةُ الكامِلةُ والتامَّةُ بينَ أبناءِ الوطنِ الواحِدِ هي التَّرجَمةُ العمليَّةُ لكلمةِ المواطَنةِ، والمُساواةُ الكامِلةُ والتامَّةُ هي التي تحتضِنُ التَّنوُّعَ -كما خلقَه اللهُ- في نفسِ الوطنِ، وتسُنُّ الشَّرائعَ والدَّساتيرَ التي تَحفظُ الحُقوقَ الإنسانيَّةَ والوطنيَّةَ لكلِّ مواطنٍ بتساوٍ وعدلٍ.

واليَومَ، وفي ظلِّ ما يمُرُّ به العالمُ العربيُّ والإسلاميُّ، نقِفُ بمحبَّةٍ ونُطالِبُ شركاءَنا في الوطنِ -مهما كان دينُهم أو مذهبُهم- ألَّا يتكلَّموا عن الهُويَّةِ الدِّينيةِ بشكلٍ مُطلَقٍ، بل يُروِّجوا هُويَّةَ المواطَنةِ المُتكافِئةِ والحاضِنةِ للتَّنوُّعِ في ظلِّ دُستورٍ وطنيٍّ ديمُقراطيٍّ عادلٍ، يحمي حُقوقَ الإنسانِ كلَّ إنسانٍ، ويحترِمُ هُويَّةَ الدِّين والعبادةِ والمُعتقَدِ، ويُعزِّزُ عَدالةَ النَّوعِ الاجتماعيِّ، ويُقوِّي حُرِّيةَ التَّعبيرِ والضَّميرِ.

إنَّ وطنَنا العربيَّ المجروحَ اليومَ هو بِأَمَسِّ الحاجةِ إلى خطابِ المواطَنةِ المُتكافئةِ، وإلى قَبولِ التَّنوُّعِ المُبارَكِ؛ إذ إنَّ هذا التَّنوُّعَ هو مِنْ خَلقِ اللهِ سُبحانَه وتعالى.

إنَّنا نعيشُ اليومَ في عصرِ التَّطرُّفِ الدِّينيِّ، وعِندَما أتحدَّثُ عن التَّعصُّبِ الدِّينيِّ لا أقصِدُ دينًا مُعيَّنًا.. إنَّما أقصِدُ أنَّه في جميعِ الأديانِ السَّماويةِ ثمَّةَ تطرُّفٌ وإقصاءٌ وتكفيرٌ..

إنَّ التَّطرُّفَ الدِّينيَّ لا دينَ له، وهدفُه اختطافُ الدِّينِ القَويمِ وتحويلُه إلى أيديولوجيَّةٍ سقيمةٍ، وهو يحرِمُ مَن لا يَتَّبعُ أفكارَه ودينَه من أيِّ حقٍّ ومن أيَّةِ حُرِّيةٍ كانت.. والتَّطرُّفُ الدِّينيُّ الذي نشهَدُه اليَومَ هو خطَرٌ سافرٌ على معنى المواطَنةِ، وهو خطَرٌ على الديمُقراطيَّةِ الحقيقيَّةِ التي نصبو إلَيها، وهو خطرٌ على سِلمِ الدَّولةِ وسلامِ المواطنِ الحرِّ الشَّريفِ.

ويبني هذا التَّطرُّفُ الدِّينيُّ الإقصائيُّ أيديولوجيَّتَه على أساسِ بعضِ الآياتِ من كُتُبِه المُقدَّسةِ التي ينتزِعُها من سياقِها، وبدلًا مِن أن يُعزِّزَ التَّنوُّعَ يدعو إلى التَّقَوقُعِ وأفضليَّةِ مذهبٍ على آخَرَ، وأسبقيَّةِ دينٍ على آخَرَ، وكراهيَةِ كلِّ مَن يختلِفُ عنه دينًا ومذهبًا، ولا يُمكِنُ مُراضاةُ أو تدليلُ هذا اللَّوَثِ الفِكريِّ والإقصائيِّ التَّكفيريِّ؛ لأنَّه ينتزِعُ من الدِّينِ معناه الحقيقيَّ.

إنَّنا بحاجةٍ ماسَّةٍ اليَومَ -أكثرَ مِن قَبلُ- أن نسمعَ إلى كلمةٍ سواءٍ من رجالِ الدِّينِ والفِقهِ واللَّاهوتِ الذين يَفضحونَ نيَّاتِ التَّطرُّفِ الإقصائيِّ، ويُظهِرونَ للملإِ أهدافَه التي تَبحثُ عن مكاسِبَ سياسيَّةٍ ماديَّةٍ، ويُحارِبونَه بتَوعيةِ القاعدةِ الشَّعبيَّةِ بلاهوتِ الدِّينِ القَويمِ..

وهُنا -مرَّةً أخرىٰ- أُقدِّرُ مواقِفَ الأزهرِ الشَّريفِ في بياناتِه حيثُ دان هؤلاءِ المُتعصِّبينَ الذينَ يشوِّهونَ الإسلامَ ورآهم خوارِجَ عن الدِّينِ القَويمِ؛ فإنَّ هذه الجُرأةَ الدِّينيةَ هي جُرأةٌ ضروريَّةٌ اليَوم، وهي ما نريدُ أن نسمَعَه من رجالِ الدِّين والفِقهِ، وهذه الجُرأةُ الدِّينيةُ هي التي تُحافِظُ علىٰ النَّسيجِ الوطنيِّ، وهي التي تتصدَّىٰ لأيِّ لَوَثٍ دينيٍّ إقصائيٍّ يُريدُ تكفيرَ وإقصاءَ مَن يختلِفُ عنه.

إنَّ صدَّ هذه الفِئاتِ الإقصائيَّةِ يكونُ بالحِفاظِ علىٰ مفهومِ المواطَنةِ المُتكافئةِ والحاضِنةِ للتَّنوُّعِ التي تدعو إلىٰ رؤيةِ وجهِ اللهِ في المواطنِ الآخَرِ الذي يختلِفُ عنه دينًا وعقيدةً وجِنسًا ونهجًا وأيديولوجيَّةً وفِكرًا؛ وإذا استطعنا زرعَ هذا الفِكرِ في البَيتِ، والمَدرسةِ، والمُجتمَعِ، والكنيسةِ، والمسجدِ... وفي كل مكانٍ، عِندَها ننجحُ في زرعِ معنىٰ المواطَنةِ المُتكافئةِ والحاضِنةِ للتَّنوُّعِ في مُجتمَعاتِنا العربيَّةِ والإسلاميَّةِ.

أيها الحَفَلُ الكريمُ

إنَّ دعوتَنا لكم اليَومَ هو أن نتكاتَف نحنُ العربَ -مُسلِمينَ ومُسيحيِّين- مع أصحابِ الضَّمائرِ الحيَّةِ من جميعِ الأديانِ والمذاهبِ في وطنِنا العربيِّ، ونُعطيَ خِطابًا جديدًا مُتجدِّدًا يدعو إلىٰ تجسيمِ الحُريَّاتِ كما نصَّت عليها الشَّرائعُ الدِّينيةُ والهَيئاتُ الدَّوليةُ، ونُعزِّزُ المواطَنةَ المُتكافئةَ -بحُقوقٍ مُتساويةٍ، وواجِباتٍ مُتساويةٍ- والحاضنةَ للتَّنوُّعِ ضِمنَ دُستورٍ وطنيٍّ ديمُقراطيٍّ؛ فللخِطابِ الدِّينيِّ دَورٌ أساسيٌّ في ذلك، وللمِنهاجِ المَدرسيِّ دَورٌ توجيهيٌّ لشَبيبَتِنا النَّاهضةِ، وللبَيتِ دَورٌ مُهِمٌّ في تَنشئةِ معنىٰ المواطَنةِ المُتكافئةِ، وللإعلامِ دَورٌ رئيسٌ في زرعِ

فِكرٍ حُرٍّ ومُصطلَحاتٍ أساسيَّةٍ ومفاهيمَ تُرسِّخُ المواطَنةَ المُتكافئةَ لجميعِ مواطِنيها والحاضِنةَ للتَّنوُّع، والتي تحترِمُ تساويَ جميعِ الأديانِ في الوطنِ الواحدِ في الحُقوقِ والواجِباتِ.

هذا هو تحدِّينا اليَومَ في الوطنِ العربيِّ، وقد تكونُ الأجِندةُ التي نصبو إليها طويلةً ومُعقَّدةً؛ ولكنَّ تكاتُفَنا وعمَلَنا المُشترَكَ هو ما يضمَنُ أن نُحقِّقَ هذه الأجِندةَ الوطنيَّةَ من أجلِ مصلحةِ وطنٍ عربيٍّ ديمُقراطيٍّ.

ولنتحدَّ التَّطرُّفَ برفعِ صَوتِ الحقِّ بأن بِلادَنا هي بحاجةٍ إلى مواطَنةٍ مُتكافئةٍ – بحُقوقٍ مُتساويةٍ وواجِباتٍ مُتساويةٍ– وحاضنةٍ للتَّنوُّع.

وليُبارِك اللهُ أعمالَ هذا المؤتمَرِ المُهِمِّ؛ لأنَّ اللهَ هو من وراءِ القَصدِ.

وسلامُ الرَّبِّ معَكم جميعًا.